خاتمة الدراسة

تسعىٰ خاتمة الدراسة إلىٰ تناول أهم النتائج العامة التي توصلت إليها الدراسة سواء فيما يتعلق بمفهوم القوة الذكية وما يحتويه من أدوات القوة (**الناعمة والصلبة**)، أو فيما يتعلق بالسياسة الخارجية الإيرانية وتوجهاتها بشكل عام، وخصوصية فترة الرئيس أحمدي نجاد وكيف ألقت بظلالها علىٰ السياسة الخارجية في أهدافها ومنطلقاتها وأدواتها ونتائجها، كما تتطرق الخاتمة إلىٰ حالة الدراسة وهىٰ الحالة اللبنانية وأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة في ذلك الإطار.

وكذلك تتضمن الخاتمة الإشارة إلىٰ عدة تساؤلات يطرحها الباحث للدراسة والاهتمام قد خرجت عن نطاق الدراسة الحالية، إلا أنها تثرىٰ نظرية العلاقات الدولية وتحتاج العديد من الإجابات لتأسيس نظرية متكاملة من منظورات مختلفة، وذلك لتكوين نظرية واضحة حول القوة الذكية وأبعادها وتفعيلها في حالات أخرىٰ، ويمكن تقسيم تلك النتائج في ضوء المجموعات التالية.

أولاً : نتائج تتعلق بمفهوم القوة الذ ك ية:

1- جاء مفهوم القوة الذكية استجابة لواقع العلاقات الدولية المعقد والمتشابك باستمرار سواء في قضاياه أو فواعله أو عملياته ونظرياته ومنظوراته المتعددة، ذلك الواقع الذي فرض نفسه منذ انتهاء الحرب الباردة بين القوتين العظميين آنذاك، والتي انتهت بتفكك الاتحاد السوفيتي دون اللجوء للقوة العسكرية، وانتشار المذهب الليبرالي الغربي في بعض الدول الاشتراكية ودول أخرىٰ دون الإكراه والعنف الذي يرتبط بالقوة الصلدة، ولعب الاقتصاد دورًا واضحا في انهيار الاتحاد السوفيتي آنذاك وليس نقص العتاد أو الأسلحة، وتعاظم دور الأداة الاقتصادية في السياسة الخارجية وفىٰ قياس قوة الدول إلىٰ جانب قوة المعرفة.

- وفىٰ تطور مهم من نوعه بدأ الحديث عن ظهور الأبعاد الناعمة في العلاقات الدولية والسياسات الخارجية للدول، وارتبط ذلك إلىٰ حد كبير بالحديث عن ظهور

الاهتمام بالأبعاد الثقافية والقيمية في العلاقات الدولية، والحديث عن الثقافة كأحد أبعاد التنافس بين الأمم، وأن الصراع الدولي بدأ يحمل في طياته مسببات ثقافية وحضارية.

- وحملت أحداث الحادي عشر من سبتمبر بعدًا جديدًا للحديث عن الثقافي وفي داخله الديني في الحرب الدولية على الإرهاب، والتي ربطتها الولايات المتحدة الأمريكية بمنطقة حضارية تمثلت في العالم الإسلامي ومحاربة المنظومة القيمية للدول الإسلامية كونها من وجهة نظر القيادة الأمريكية آنذاك راعية للإرهاب الدولي، وإذا كانت الحروب التي قادتها الدول الكبرى حملت على عاتقها محاربة المنظومة القيمية بأدوات عسكرية، إلا أنها وظفت في خدمتها الأبعاد الثقافية والناعمة لكسب التأييد الدولي للحرب على الإرهاب التي قادتها الولايات المتحدة الأمريكية في ظل إدارة الرئيس السابق بوش الابن الذي كان ينتمي للتيار الديني المحافظ.

2- ولذلك فمفهوم القوة الذكية جاء استجابة للتغير في النظام العالمي سواء في هيكله أو قضاياه أو فواعله، حيث أن التغير في هيكل النظام الدولي من القوة الأحادية اعتمادًا على التفوق العسكري إلى نظام متعدد القطبية ويضم الفواعل من الدول والفواعل العابرة للقوميات، والتي أصبحت أكثر تنظيمًا من الإطار المؤسسي للدولة ارتبط بالتغير في أدوات القوة، وذلك من التركيز على القوة العسكرية إلى الاقتصادية والثقافية، كما أن ظهور الفواعل من غير الدول ارتبط أيضًا بتغير أدوات القوة نحو الأدوات الاقتصادية والثقافية.

- ولذلك فمفهوم القوة الذكية القائم على الجمع بين أدوات القوة المختلفة هو ليس بجديد، ولكنه مفهوم مظلة لأدوات القوة الأخرى ويحمل في طياته أهمية السياق والمؤسسات وضرورة مراعاة الممكن والمتاح في استخدام أيٍ من أدوات القوة المختلفة.

3- تناولت الدراسة الحالة الإيرانية وهي إحدى القوى الإقليمية الصاعدة والطامحة لنفوذ إقليمي قوي في المنطقة، وليست إيران وحدها التي تسعى لذلك النفوذ فهناك الدور التركي المتنامي على الصعيد الإقليمي والعالمي، وهما قوتان إقليميتان تتبعان إستراتيجية القوة الذكية لتحقيق النفوذ الإقليمي، كما أنه على المستوى الدولي تستخدم القوى العالمية استراتيجيات القوة الذكية في السياسة الخارجية.

- وتختلف القوى الإقليمية مثل إيران وتركيا مقارنة بالقوى العالمية من حيث خصوصيات استخدام القوة الذكية، فإن اعتمد مثلا الاتحاد الأوربي على قوة المؤسسية والقيم الديمقراطية وحقوق الإنسان والتعاون الاقتصادي والمساعدات الخارجية كقوة ذكية، وإن اعتمدت الولايات المتحدة الأمريكية على ذات القيم في الدعوة للنفوذ

الأمريكي العالمي، فإن الحالة التركية تعتمد في تحركاتها تجاه المنطقة العربية والإسلامية علىٰ الحضارة والتاريخ المشترك والبعد الديني السني، كما تعتمد تركيا علىٰ قيم الديمقراطية الغربية والشرعية وقوة الانتخابات والتغيير السلمي في تحركاتها تجاه أوربا.

- إلا أن الحالة الإيرانية وإن اعتمدت علىٰ المشترك الإسلامي الحضاري، فيبقىٰ الاختلاف المذهبي الشيعي والثورة الثقافية الإيرانية التي تدعم تصدير ذلك المذهب عائقا أمام العديد من التحركات الإيرانية في المنطقة العربية، وتعد الأقليات الشيعية من العوامل الممهدة للعب دور ناعم إيراني وتقبله، إلا أن القوة الناعمة الإيرانية لا تعتمد علىٰ الثقافي المذهبي فقط بل تتخذ من التعليم والإعلام والمساعدات الخارجية ومشروع المقاومة عوامل لرسم صورة إيجابية عن إيران في أذهان الآخرين من غير الشيعة، إلا أن ذلك لا ينفىٰ التخوفات الحالية من المشروع الثقافي المذهبي الإيراني الذي تدعمه إيران علىٰ المستوىٰ المؤسسي الرسمي وغير الرسمي.

4- إن أهداف السياسة الخارجية للدولة تتجه حينما كانت المصلحة للدولة سواء كان ذلك مع الحلفاء أم المخالفين ثقافيًا ومذهبيًا وعقائديًا وفكريًا، وتحمل القوة الذكية في أحد أهم أدواتها وأبعادها القوة الناعمة، وهىٰ لا تتجه فقط نحو المتفق ثقافيًا فقد يكون هدف القوة الناعمة هو خلق ذلك المشترك الذي وإن اختلف ثقافيًا فقد تؤثر القوة الناعمة علىٰ الأبعاد السياسية أو الاقتصادية، ولنا من التحركات الإيرانية تجاه دول أمريكا اللاتينية مثالًا، فإيران دولة تتبنىٰ الأيديولوجية الإسلامية القائمة علىٰ المذهب الشيعي، وتقوم معظم دول أمريكا اللاتينية علىٰ العقيدة الاشتراكية ورفض دور الدين في الحياة العامة، ومع ذلك أسست إيران لتحالفات واضحة مع البرازيل وكوبا وفنزويلا وغيرها من تلك الدول، وذلك اعتمادًا علىٰ المشترك السياسي الذي مهدت إيران به عبر مشروع المقاومة للتدخلات الغربية والدعوة إلىٰ سياسات لا شرقية ولا غربية، وتبنىٰ أيديولوجية عدم الانحياز وهو ما ساعد علي تقريب وجهات النظر بين الجانبين علىٰ الرغم من غياب المشترك الثقافي العقدَي.

5- تقاس القوة ليس فقط بحساب الموارد التي تمتلكها الدولة، وليس أيضًا بقياس التحركات التي تستخدم فيها تلك الموارد، وإنما معرفة الوزن الحقيقي للقوة تتوقف علىٰ معرفة النتائج ومدىٰ الفاعلية في تحقيق الأهداف التي تستخدم القوة لأجلها، وقد تبنت الدراسة ذلك المنهج لمعرفة القوة الذكية، فمثلًا معرفة قوة دولة ما لا يقاس بعدد السلاح والعتاد والموارد الاقتصادية والثقافية، ولا تقاس القوة بعدد مرات استخدام تلك القوة

وإنما بتحقيق الأهداف، فدخول الولايات المتحدة الأمريكية حروب العراق وأفغانستان لا يعنىٰ بأية حال أن تلك الدولة قوية، ولكن يجب النظر إلىٰ أهداف استخدام تلك القوة وهل نجحت في تحقيقها أم لا، وهو ما دعا المفكرون الإستراتيجيون أمثال جوزيف ناي وغيره عند الحديث عن القوة أن يربط القوة بقياس فاعليتها في تحقيق الهدف من استخدامها وليس بمعرفة ما تملكه الدولة من أدوات، ولذلك يدخل أهمية التخطيط الاستراتيجي والتكنولوجيا وحسابات السياق وحسابات المكسب والخسارة في استخدام أيٍ من أدوات القوة.

ثانياً : نتائج تتعلق بالسياسة الخارجية الإيرانية بشكل عام :

1- تتميز الحالة الإيرانية في تحركات السياسة الخارجية واستخدام أدوات القوة الذكية بخصوصية تختلف عن غيرها علىٰ المستوىٰ الدولي والإقليمي، فكون إيران الدولة الشيعية الوحيدة التي تتبنىٰ ذلك المذهب كما تتبنىٰ ولاية الفقيه، وذلك بجانب امتلاكها مشروعاً حضارياً شيعياً تحاول إيران نشره علىٰ نطاق يتعدىٰ دول المنطقة، و هذا المشروع الثقافي وفي داخله الديني في خطاب السياسة الخارجية الإيرانية يضع تساؤلات حول مدىٰ نجاح السياسة الإيرانية في تحقيق أهدافها الخارجية ، تواجه إيران صعوبات في مشروعها الإقليمي ينطلق من البعد المذهبي في التحركات الإيرانية التي تقدم مشروعها الشيعي كنموذج لعالمية الإسلام ، وهو ما يثير الجدل حول المشروع الإيراني هل هو مشروع إسلامي عالمي أم مشروع شيعي طائفي[1].

2- جاءت القوة الذكية في السياسة الخارجية الإيرانية استجابة للتحديات التي تواجه إيران، وذلك في ظل إدراك واع من القيادة الإيرانية للتغيرات التي طرأت علىٰ مفهوم الأمن الذي لم يعد هو الأمن القومي بمعناه الضيق بما يشمله من أمن للحدود الجغرافية، ولكن التحركات الإيرانية تجاه الدوائر المختلفة جاءت استجابة للمفهوم الأوسع للأمن بأبعاده المختلفة السياسي والثقافي والحضاري، وإدراكاً أيضاً لتغير طبيعة التهديدات والحروب التي أصبحت تحمل الأبعاد الناعمة، فهناك الحروب الالكترونية والتي استهدفت

(1)محمد السعيد إدريس ، إيران والأمن القومي العربي ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، 16 يناير 2011، متاح علىٰ :
http://www.dohainstitute.org/release/33849406-856c-4834-ac21-ce38b0074ae7.

بالفعل أجهزة البرنامج النووي الإيراني لتعطيلها والتأثير على مسار البرنامج النووي، وهناك أيضاً الحرب الناعمة التي تدركها إيران في ظل الحرب على النموذج الحضاري والمعتقدات واستهداف الثقافي قبل الجغرافي، فالحديث عن إيران كإحدى دول محور الشر وعن فشل النموذج الثوري الحضاري الإيراني وتغيير النظام كلها شواهد عن حرب ناعمة ضد إيران تدركها القيادة الإيرانية.

3- من أهم عوامل نجاح القوة الإيرانية وقدرة إيران على توظيف الأبعاد المختلفة للقوة هو الجانب المؤسسي على المستويين الرسمي وغير الرسمي، فتعمل المؤسسات الرسمية في إيران في ضوء الخطط الحكومية على تحقيق أهداف السياسة الخارجية لإيران، وبجانب ذلك تتبع مؤسسة المرشد الأعلى الإيرانية عدد من المؤسسات غير الرسمية ولكنها تتفق والأهداف العامة للدولة، وترجع تلك الثنائية في المؤسسات إلي كون الولي الفقيه هو المؤسسة السياسية والدينية الأعلى حيث تعمل تلك المؤسسة علي المستويين الرسمي وغير الرسمي في ضوء وحدة الأهداف واتساقها، كما أن مؤسسات القوة الناعمة في الدولة هي من المؤسسات الرسمية وتعمل بأهداف واضحة ولا يوجد خلل بين مؤسسات القوة الناعمة والقوة الصلبة، وذلك في ظل كون إيران تحت حكم الثورة التي أعلت من البعد الثقافي الديني كمحدد في التحركات الخارجية الإيرانية.

ثالثاً: نتائج تتعلق بالسياسة الإيرانية تجاه حالة الدراسة (لبنان)

1- تتميز الحالة اللبنانية بخصوصية بالنسبة لإيران ترجع إلى المكون الطائفي، ووجود الشيعة كجزء من التركيب الطائفي اللبناني، ووجود علاقات تاريخية بين إيران وجبل عامل في لبنان، يضاف إليها اعتبار إيران نفسها الدولة المسئولة عن التشيع سواء كمذهب أو لمعتنقيه حول العالم، لذلك تحسنت العلاقات مع شيعة لبنان مع نشأة الثورة الإيرانية وتوطيد علاقتها بشيعة لبنان والمساهمة في نشأة حزب الله اللبناني، مما أرسى قاعدة ثقافية لقبول التدخلات الإيرانية، وذلك بجانب كون لبنان بلدًا منفتحاً على القوى الإقليمية والدولية وساحة للتدخل، فكانت لبنان جزءًا من النفوذ الغربي واستطاعت إيران عبر الشيعة خلق قاعدة لها للتغلغل إلى لبنان على المستويات الرسمية والشعبية أيضا، وهى أمور لا يمكن تجاهلها بالقول عن علاقات إيرانية مع شيعة لبنان فقط.

وقد تناولت الدراسة العلاقات الإيرانية اللبنانية علىٰ الصعد المختلفة ليس باستخدام المشترك المذهبي بل والحضاري والتاريخي والسياسي والاقتصادي في إطار المصلحىٰ بين الجانبين، وتعاملت إيران علىٰ مستوىٰ الدولة الرسمية والفواعل من غير الدولة «**حزب الله**» في إطار دعم مشروع المقاومة الذي أعطىٰ إيران بعدًا ودعمًا شعبيًا في الداخل اللبناني من بعض الطوائف الأخرىٰ غير الشيعة.

2- تعد القوة الذكية الإيرانية تجاه لبنان عاملًا مهمًا في دعم العلاقات بين الطرفين علىٰ الصعد المختلفة، ووظفت إيران أدوات القوة المختلفة لذلك، فعلىٰ سبيل المثال في حرب 2006 ضد لبنان لعبت أدوات القوة الإيرانية أدوارًا مختلفة، فالأداة العسكرية اتضحت في الدعم الإيراني بالسلاح والعتاد للمقاومة وبشكل رسمي كما سبق ذكره، وصرح بذلك مسئولو حزب الله، بجانب الأموال التي استخدمتها إيران في الدعم الاقتصادي لحزب الله، وعلىٰ الجانب الرسمي جاء الموقف السياسي الإيراني بدعم لبنان حكومة وشعبا ورفض التدخل الإسرائيلىٰ واتضح ذلك في زيارات المسئولين الإيرانيين لبيروت ودعوة الأمم المتحدة لوقف العدوان.

وعلىٰ الجانب الشعبي أعلنت إيران وقوفها إلىٰ جانب الشعب اللبناني علىٰ المستوىٰ الإعلامي، وتعداه إلىٰ المساعدات التي وجهتها إيران إلىٰ لبنان لإعادة إعمار لبنان بعد الحرب وإنشاء المدارس والمستشفيات والكباري والجسور وشبكات الكهرباء كما تم ذكره في الفصل الثالث، فجمعت إيران في ذلك الموقف الدعم العسكري والاقتصادي والثقافي والإعلامي والسياسي، وعلىٰ المستويات الرسمية وغير الرسمية(الشعبية) أيضا.

3- تواجه استراتيجية القوة الذكية الإيرانية في توجهاتها الإقليمية والدولية العديد من التحديات، فبجانب العقوبات الدولية تواجه إيران التدخل الأمريكي الإسرائيلي لمنع إيران من تزايد نفوذها في المنطقة، ويأتي استهداف إسرائيل لحزب الله وسوريا في هذا السياق، يضاف إلىٰ ذلك ضرب شحنات الأسلحة الموجهة إلىٰ حزب الله من إيران، بجانب ضرب بعض مخازن الأسلحة لحلفاء إيران وعلىٰ رأسهم السودان التي استهدفتها إسرائيل منعا لتطور النفوذ الإيراني.

كما تواجه إيران ضغوطًا إقليمية لمواجهة نفوذها في لبنان من قبل بعض القوىٰ الإقليمية كالسعودية، وذلك من أجل منع نفوذ إيراني متزايد في المنطقة، وهو من شأنه التأثير علىٰ فاعلية أدوات القوة الذكية الإيرانية تجاه لبنان.

4- من أهم الانتقادات التي وجهت إلىٰ إستراتيجية القوة الذكية الإيرانية تجاه لبنان،

أدوات القوة الناعمة الإيرانية وارتباطها بالغزو الثقافي والتشيع وهو ما يتعارض مع الخصوصية الثقافية للداخل اللبناني، خاصة في ظل رفض بعض الشيعة اللبنانيين أدوات التدخل الإيراني، وازدادت حدة تلك الانتقادات مع ازدواجية المعايير التي اتضحت في تعامل إيران مع المطالب الشعبية في البحرين والثورة السورية، يضاف إلىٰ ذلك البعد الداخلي وأثره علىٰ صورة إيران في ظل توجيه العديد من الانتقادات للحكومة والنظام في إيران بسبب انتهاكات حقوق الإنسان المتكررة تجاه المعارضة الإيرانية.

لا تختلف السياسة الخارجية الإيرانية في فترة الرئيس نجاد عن فترة الرئيس خاتمي إلىٰ حد كبير، فالاختلاف هو في الأدوات والخطاب أكثر منه في السياسات والتوجهات والمبادئ ، فالسياسة الخارجية الإيرانية مرتبطة لحد كبير بالمؤسسات ووجود المرشد الأعلىٰ الإيراني علىٰ رأس تلك المؤسسات وله دور كبير في صنع السياسة الخارجية الإيرانية [1]، فأدوات السياسة الخارجية الإيرانية في فترة الرئيس خاتمي استندت لأدوات ناعمة مثل الدعوة إلىٰ حوار الحضارات كأدوات للترويج للنموذج الإيراني.

أسئلة وإشكاليات مطروحة للدراسة :

يعد مفهوم القوة هو المفهوم الذي تدور حوله أدبيات العلاقات الدولية من منظورات غربية، وذلك استجابة للواقع الدولي الذي من شأنه التأثير علىٰ المفهوم عبر القضايا والفواعل والموضوعات، ويلاقىٰ المفهوم اهتماماً واسعاً من الساسة والأكاديميين لفهم أبعاده، وعلىٰ الرغم من عدم حداثة مفهوم القوة الذكية إلىٰ حد ما إلا أنه لا زال يخضع لمرحلة التكوين والدراسة والتعمق في أبعاده المختلفة، **ويطرح مفهوم القوة العديد من الجدل والإشكاليات ما زالت تحتاج إلىٰ الإجابة ومنها :**

- البعد غير الرسمي للقوة وتأثيره علىٰ القوة الذكية، أو ما أسمته وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون في عام 2010 « **القوة المدنية** » ومدىٰ أهميتها للقوة الذكية ويقصد بها قوة التكنولوجيا في عصر المعلومات وقوة التواصل مع الشعوب ومع الفواعل من غير الدول، وكيف أن سفراء الولايات المتحدة لم يعودوا يؤسسون لعلاقات مع الحكومات فقط ولكن أيضا مع منظمات المجتمع المدني والتيارات السياسية والاجتماعية

(1) سامح راشد ، السياسة الخارجية الإيرانية في عهد نجاد:حدود التغيير، السياسة الدولية ، أكتوبر 2005، متاح علىٰ :

.http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=221568&eid=1537

المختلفة في دولة ما، وذلك في إطار الحديث عن قوة الشعوب مقابل قوة الدولة ومؤسساتها

- كيفية التوفيق بين القوة الناعمة والقوة الصلبة في جانب الإنفاق والمؤسسات والتفعيل والتحركات، خاصة وأنه لا يمكن إهمال القوة الصلبة وأهميتها والحديث عن تحركات ناعمة، وأيضا كيف يمكن تفعيل القوة الناعمة وقوة التواصل والتأثير وخلق المشترك اللازم الذي تعمل من خلاله القوة الناعمة.

- تصاعد دور الفواعل سواء العابرة للقوميات أو الفواعل التحت قومية في السياسات الخارجية للدول ودورها في رسم أبعاد السياسة الخارجية، ودور العامل الداخلي والشعوب في التأثير علىٰ السياسة الخارجية ومنطلقتها وأدواتها، وكيفية التنسيق المؤسسي بين تلك الكيانات وبين مؤسسات الدولة، وهو من شأنه تفعيل سياسة خارجية قوية تتفق مع المتطلبات الداخلية وتلقىٰ القبول الداخلي الذي يؤسس لتأثير خارجي.

- إن هذه التساؤلات وغيرها تدفع إلىٰ تساؤل آخر، هل ما زالت القوة هي المفهوم الرئيس في المنظورات الغربية ؟، وما هي أسس النقد لهذا المفهوم من منظور حضاري آخر؟ وهل يعد ذلك التغير المفاهيمي في مفهوم القوة مؤشرًا علىٰ وجود تحول في المنظور " paradigm shift "، وهو ما يؤسس الدعوة للبحث في منظورات حضارية غير غربية تنبع عن نموذج معرفي يختلف عن النموذج الوضعي المادي وما يرتبط بذلك من مفاهيم مقارنة للقوة وتأخذ في الاعتبار الأبعاد المعيارية الثقافية والدينية وغيرها، والأبعاد الإنسانية في تحديد محتوىٰ القوة ونطاق استخدامها ومجالاتها وأنماطها بل وهيكل توزيعها ، كما ينعكس الاختلاف في المفهوم علىٰ ظهور ممارسات جديدة ونحو أهداف جديدة.

❊ ❊ ❊

obeikandl.com